



لا يقتصر تطبيق هذه القاعدة الإسلامية الذهبية على شهر الصيام والقيام فحسب، بل يشمل جميع العبادات والطاعات التي يقوم بها المسلم تنفيذاً لأمر إلهه وحالقه سبحانه، سواء أكانت فرضاً أم سنة ونافلة . ونظراً لخطورة هذا الأمر وأهميته في الإسلام، فإن العلماء والدعاة يركزون على هذه القاعدة ويدذكرون بها المسلمين في كل مناسبة، ولعلَّ من أهم هذه المناسبات شهر رمضان المبارك وما بعده،

الذي قد يغفل فيه بعض المسلمين - وخصوصاً في أواخره - عن العبادة والطاعة، لينصرفوا إلى الأسواق استعداداً لاستقبال عيد الفطر السعيد، ناهيك عن غفلتهم عن تلك القاعدة بعد انتهاء الشهر الفضيل، حيث ينصبُ اهتمام جُلِّ المسلمين على العمل، دون أن ينتبهوا إلى الغاية العظمى منه، ألا وهي القبول.

وإذا كان كثير من الدعاة يذكرون المسلمين بضرورة الإكثار من العبادة والطاعة في العشر الأواخر من رمضان، نظراً لاستعمالها على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فإن مدى الاستجابة لهذا التذكير قد يستمر عند البعض إلى ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الكريم، لينتهي الشهر بعد تلك الليلة عملياً في نظر كثير من المسلمين، ويفتقر ذلك عملياً من خلال قلة عدد المصليين في ليلة الثامن والعشرين والتاسع والعشرين، رغم احتمال أن تكون ليلة القدر في إحداهم.

ولعل من أعظم الأحاديث التي تذكر المسلم بأن العبرة بالخواتيم والقبول، وليس بمجرد العمل الصالح في البدايات دون تحقق القبول، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن سهلٍ قال: (الْتَّقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَارِبِهِ فَاقْتَلُوا فَمَا لَمْ يَكُنْ قَوْمٌ إِلَى عَسْكِرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ شَائِدَةً وَلَا فَادَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَّهَا بِسَيِّفِهِ، فَقَبَلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ. فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالُوا: أَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ لَاتَّبَعْنَاهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ، حَتَّى جُرَحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ

فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذَبَابَهُ بَيْنَ ثَدَيْهِ ثُمَّ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهُدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ: (وَمَا ذَاكَ) فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمَنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) صحيح البخاري برقم 4209

نعم ... قد يعمل بعض الناس أعمالاً طيبة وصالحة فيما يbedo للناس، ولكنها مشوبة بالرياء أو ما شابه ذلك من الأمراض القلبية الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله سبحانه، والتي تفسد العمل وتذهب بثوابه وأجره عند الله، وتجعله هباءً منثوراً غير مقبول ولا مأجور.

ولعلّ من أخطر الأحاديث التي تشير إلى هذا الأمر، ما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أول الناس يدخل النار يوم القيمة ثلاثة نفر : يؤتى بالرجل أو قال بأحدهم فيقول: ربّ علمتني الكتاب فقرأته آناء الليل والنهر رجاء ثوابك فيقال: كذبت إنما كنت تصلي ليقال إنك قارئ مصلّ وقد قيل أذهبوا به إلى النار).

ثم يؤتى بآخر فيقول: ربّ رزقني مالاً فوصلتُ به الرحم وتصدقت به على المساكين وحملت ابن السبيل رجاء ثوابك وجنتك فيقال: كذبت إنما كنت تتصدق وتصمل ليقال إنك سمح جواد وقد قيل أذهبوا به إلى النار.

ثم ي جاء بالثالث فيقول : رب خرجت في سبilk فقاتلتك فيك حتى قُتلتُ مقبلاً غير مدبر رجاء ثوابك وجنتك فيقال: كذبت إنما كنت تقاتل ليقال إنك جريء شجاع وقد قيل أذهبوا به إلى النار) المستدرك للحاكم برقم 111 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وإذا انتقلنا إلى مسألة قبول الطاعات والعبادات فإننا ندخل في الحقيقة في صلب الفهم الخاطئ الموجود لدى بعض المسلمين، الذين يظنون أن القيام بالطاعة والعبادة هو نهاية الأمر وغايته، غافلين عن أنّ قبول الله لهذه العبادات هي الغاية المرجوة التي يتحصل من خلالها على الثواب والأجر والجزاء.

ولعلّ من أكثر العلامات والإشارات الدالة على قبول الله تعالى لصيام العبد المسلم وقيامه، هو استمراره ومواظبه على طاعة الله تعالى وعبادته، والتزام أوامره واجتناب نواهيه بعد انتهاء رمضان، تماماً كما كان في شهر الصيام.

فإن أراد المسلم أن يتيقن من قبول الله لطاعته وعبادته في رمضان من عدمه، فلينظر لحاله مع الله تعالى بعد رمضان، فإن رأى من نفسه الإقبال على الطاعة والعبادة و فعل الخير، فهي بشاره له بقبول الله تعالى لصيامه وقيامه، وإن رأى من نفسه الارتداد إلى المعصية والانحراف عن منهج الله بعد رمضان، فهي تذير شؤم بعد القبول عند الله تعالى.

لقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إذا خرج رمضان يدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم صيام رمضان وقيامه، نظراً لفهمهم أهمية قبول الطاعات والعبادات، وعلى الرغم من اجتهادهم في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، إلا أنهم بعد كل هذا يخافون من رده ويدعون الله بقبوله، وكانوا إذا فعلوا العمل الصالح وقع عليهم الهم، أيقبل منهم أم لا، ولذلك ورد عنهم الأثر المشهور : "كونوا لقبـول العمل أشدّ اهتماماً منكم بالعمل".

وفي ذلك يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "إِنْ أَسْتِيقْنُ أَنَّ اللَّهَ تَقْبِلَ مِنِي صَلَاةً وَاحِدَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّمَا يَتَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْبِلِينَ" ، ويقول فضالة بن عبيد : "إِنَّمَا أَكُونُ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقْبَلَ مِنِي مِنْ قِبَلِي حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ "إِنَّمَا يَتَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْبِلِينَ".

فانظر أخي وراقب ما تفعل بعد شهر الصيام، واحرص على أن تجني ثمرة الصيام التي أخبرنا الله تعالى بها بقوله: {إِنَّمَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة/183

